كثيرات من ذوات العشرين ولكن اذا نظر الى جميع من كن مثلها وقيس ايثارهن على ايثار ذوات العشرين لكان لهن الحظ الاقل مهما بلغ بهن الادب والظرف لان النفس لا يكفيها الشعور بالجمال الوقتي بل هي طماعة ترنو كثيراً الى المستقبل حتى لتشعر بالجمال فيه قبل ان تصل اليه ولذلك تختار ذات العشرين عاماً ولو كانت قليلة الجمال على ذات الاربعين ولو كانت انم منها حسناً لان مسافة الامل تقصر في هذه وتطول في تلك وانما الامل الذي نعيش به ونبني عليه كل شيء

وعلى الجملة فان صحة المرأة وشبابها هما عنوان جمالها الحقيقي وهما مطلب جميع الرجال على وجه التعميم واذا جاز لنا في هذا الباب نصيحة الفتيات اللواتي رزقهن الله الصحة والشباب والجمال المتعارف فنحن ننصحهن ان لا يكثرن الاعتداد بنفوسهن ورد الخطاب عنهن اعتقاداً بان بياض الوجه او سواد العينين انما هما شافعان في مستقبل السقم او طول العمر فان الصحة والشباب هما الجمال الحقيقي الكافل بان تكون المرأة مأثورة مختارة وما عدا ذلك فلا يبنى عليه حكم في مقام الحق وقد صدق المتنبي اذ قال

آلة العيش صحة وشباب فاذا وليا عن المرء ولى

عبرة وذكرى

قلما يتحدث شرقي في معنى اصلاح بلاده وترقية شؤونها الا ويذكر لك في الحال الفرق الشديد الذي بيننا وبين الغربيين ويكون اول ما يبدو له من القول كثرة الفرق التي بين حكوماتنا وحكوماتهم متخذاً ضعف

حكامنا ونشاط حكامهم كل السبب في ذلنا ومجدهم وخمولنا ونباهتهم وقد اشار الى ذلك احد الادباء في نقده كتاب العلم والتربية للكاتب الفاضل خليل افندي زينيه ونشرناه في الجزء الماضي وهو نقد وان كان لا يخلو في بعض وجوهه من صواب الا انه ليس كل السبب ولا يصح ان تتهم الحكومات وحدها دون الشعب او ان تكون تهمتها المقدمة عليه لان الشعب هو الاقوى لدى الحقيقة وصاحب التأثير في النتيجة بل انك متى عرفت ان الحكومة من الشعب وان ليس الشعب من الحكومة فقد عرفت ايهما احق باللوم ومن يجب ان يؤخذ به منهما اولاً

ولقد جرى لدينا في هذا الشهر حادث خليق بان يكون عبرة وذكرى نعتبر بها ان الشعوب هي سبب مجد الحكومات ورفعتها وان الافراد طالما كانوا سبب سعادة الشعوب وذلك بتأثيرهم الفعلي بما كان من مال انفقوه او بتأثيرهم الادبي بما كان من ذكر اودعوه وقدوة حملوا غيرهم عليها فكان منهم ما لا تستطيعه الحكومات

وهذا الحادث الذي نشير اليه انما هو وفاة السخي المشهور المرحوم جورج افيروف اليوناني المعروف فان هذا الرجل قد دلنا بعظيم ما فعله في حياته وابقاه من نافع وصاياه لمواطنيه وحكومته على ان الممالك تحيا بالافراد ولا شك فان هذا الرجل الفرد لم يترك دنياه الفانية الا وقد بنى لبني جنسه من المدارس واقام لهم من المستشفيات والملاجيء وشيد لهم من صروح الاسعاف والمعروف ما لم تستطع الحكومة اليونانية الاتيان ببعضه على كونها دولة مستتمة شروط القوة والانفاذ حتى لو شئنا ان نفصل للقاريء كل ما فعله هذا الرجل الفرد لصح لهم ان يعتبروه من جهة العلم كأنه وزارة

مستقلة للمعارف ومن جهة اعزاز دولته كأنه وزارة للحرب ومن جهة نفع الصحة كأنه وزير لها وبالاجمال فانه يصح لهم ان يعتبروه وحده كحكومة صغيرة فوق حكومته الصغيرة وليس بعد ذلك من وصف يدل على ما للافراد من التأثير لو شاؤا القوة وما يكون لهم من عظيم النفع لو اجتمعوا وتألبوا كلهم على البذل والمعروف

ولقد لام كثيرون هذا السخي الذي كانت هذه البلاد سبب ثروته وغناه انه فارقها موصياً من ماله بما شاء كرمه ووطنيته دون ان يخص هذا القطر بدرهم واحد او هذا الثغر على الاقل وقد كان وطنه ومسكنه وهو لوم لا يخلو من صواب ولكن لا يصح لنا ان نتخذه والرجل قد مات سبباً لغمط احسانه فان الكرم كرم كيف كان المقصود به ولئن ظن البعض ان الرجل لم ينصف هذه البلاد ولم يخصها بشيء مما غنمه منها لقد اعتقد كل بني بلاده انه نفعهم اعظم نفع وقام لديهم مقام حكومة جديدة

ولكن كل وجيه في بلادنا يلوم هذا السخي فهو انما يلوم نفسه من حيث لا يدري ويدل على افتقاره للغرباء وانه لا نفع له بدونهم ودون اموالهم وهي دلالة عجز لا نرضاها لاحد منا . وبالله لو خصص هذا السخي بعض ماله لبناء مدرسة وطنية او ملجا وطني وجاء سائح غريب فقال هذه مدرسة للوطنيين بناها احد الاجانب عنهم وبالتالي احد اعداء دولتهم التي كان يبذل المال بالامس لمحاربتها وانا اريد ان ارى مدرسة واحدة او ملجأ خيرياً واحداً اقامه وطني لبني وطنه فعلى اية مدرسة ندله والى اي ملجا نقوده . ألا ان تلك المدرسة لو بناها لنا ذلك الفقيد لكانت ولا شك وصمة عار دائمة تدل الناس على شدة بخلنا وتقتيرنا والتماسنا الخير من غيرنا وهو موجود عندنا

ولقد يكون ذلك الفقيد استشعر بما يصيبنا من الحزي لو تقدم الى افادتنا قبل ان يفيدنا احد من بني جنسنا فلم يشأ ان يخص بلادنا بشيء حذراً من ذلك المكروه

لذلك قيل بعض البخل ادنى الى كرم وبعض الجود لؤمُ

ولقد قلنا ان الحكومات تقوم بالشعوب اولاً حتى تقوم بها الشعوب ثانياً وهذا شأن لا شك فيه فان المسيو افيروف المشار اليه وفرداً او اثنين غيره من بني بلاده قد رفعوا حكومتهم الى درجة عالية وكانوا لسواهم اجمل قدوة وهم انما اقتدوا بغيرهم من بني فرنسا وانكلترا وامثالهما حيث الشعب هو الحكومة الحقيقية الفعالة وليست الحكومة الظاهرة الا منفذة لما يريد والذي يطالع جرائد الافرنج يجدها تذكر كل يوم فصولاً طويلة عن هبات الافراد للحكومة ووصاياهم بعد موتهم باكثر اموالهم للمجالس البلدية والمستشفيات الخيرية والمدارس المجانية واشباه ذلك من ضروب الاسعاف والمروءة مما تقدر قيمته بمبالغ طائلة تباشر بها اعمال عظيمة تعجز اجل دول العالم عنها

ولقد يذكر القراء هبة المستر ليبتون الانكليزي تاجر الشاي الشهير فانها كانت ٢٥ الف جنيه وهبها في سبيل صنع الخير لبلاده ايام الاحتفال بيوبيل الملكة ثم ما كان منه ايضاً منذ اشهر قليلة اذ تبرع بعشرات آلاف من الدنانير لانشاء مطاعم رخيصة للفقراء مما كانت الحكومة تعجز عنه او لم تكن تفكر به . وليس هذا المحسن الغني بالرجل الفرد في بلاده ولا بلاده بالمفردة بامثاله دون اوربا بل ان رجال المعروف منتشرون هناك في كل قرية وبلدة وقل ان ترى مدينة فيها غني الا وهي موسومة باشرف وسم من احسانه وكرمه سواء في اثناء حياته وبعد مماته

ثم ان عادة البذل والخير شائعة هناك كل الشيوع حتى صارت معدودة من جملة الطبائع وندر ان تمضي مدة على احد من افراد الشعب دون ان يبذل بها شيئاً لنفع قومه وبلاده واخص ما يكون ذلك في الاكتتابات العمومية التي ينشئونها حين حصول المكاره ونزول البلايا حتى انه لا يكاد يقع خطب ويحس به الا وينقلب الحزن فيه الى مسرة واليأس الى تعزية وغبطة وذلك بكثرة ما تجود الايدي وتتألب الجماعات على تخفيف الاحزان وازالتها حتى لتظن ان الشعب كله قد صار عيلة واحدة وهذه هي الوطنية الحقيقية او الرأي العمومي على حسب لغة السياسة

ثم ان الشعوب الاوربية لا تجتمع على اسعاف نفوسها فقط بل هي قد زادت وامعنت في الاحسان حتى صارت تسعف حكوماتها على عكس ما نريد نحن او نتوهم انه الواجب فقد قامت جريدة واجدة بالامس ففتحت اكتتاباً ذكرت انه لانشاء دارعة فرنسوية فلم يمض على اعلانها ذلك عدة ايام حتى اجتمع لديها المقدار اللازم لانشاء تلك الدارعة وليس ثمن الدارعة بالشيء القليل وقس على هذه الحالة حالات كثيرة كان الشعب فيها كلها مسعداً لنفسه بنفسه ومعيناً لحكومته فلو كانت هذه العادة جارية بين شعبنا المصري او بين اغنيائه على الاقل لما وجدنا جريدة ولا رجلاً فرداً قام يلوم افيروف لانه لم يوصِ لنا بشيء وذلك لاننا نكون في غنى عنه وعن ماله فلا نعود نشعر بتقصيره

ونحن لا ننكر انه قد قام منا بعض افراد في هذه الاونة الاخيرة فبنوا بعض المدارس وانشأوا بيننا شيئاً من مبدا الاسعاف ولكنهم لا يتجاوزون الاثنين الى الثلاثة وكل مالهم لو خصص للمدارس وصنع الخير لما اثر في

البلاد الا كما يؤثر درهم الملح في جرة ماء فهل اولئك الثلاثة هم كل الموسرين في القطر وهل كل الخير ينبغي ان يكون منهم . انه يوجد في بلادنا مئات يستطيع كل واحد منهم ان يبني مدرسة وينشيء مستشفى ولكن عادة الخير معدومة من صدورهم وحب الوطن الحقيقي منزوع من قلوبهم الا ان يكون في احاديث السياسة وذكر مطامع الدول واشباه ذلك مما يملأون به نواديهم حديثاً وكلاماً كله يدور على التأسف وما يجدي الاسف فتيلاً

يولد للمثري منا غلام فينفق مئات من الدنانير ابتهاجاً بولادته ثم يحتفل بختانه فينفق امثالها ثم يأتي يوم زفافه فلا يدع في خزانته درهماً يعتب على كفه حتى لقد ينفق الواحد منهم على حالات ابنه هذه نحو العشرة آلاف دينار تذهب كلها بين الكاس والطاس وضرب الناي والعود مما ينصرف اكثره الى خزائن الاجانب ولا ينتفع ابناء الوطن منه بشيء ثم تعرض عليه مشروعات الخير وما فيه حقيقة النفع لفقراء قومه وتثقيف عقولهم فيعرض عنها ويقول لا تعنيني ويظل كذلك يجمع الاموال وينفقها على امثال ما ذكرنا من الاباطيل حتى يموت وما يبقى من ماله يرثه ذلك الابن الذي اعتاد عادة ابيه فلا يمضي عليه قليل الا وقد نفد كل ما معه وعندئذ يأخذ فيتحدث بالوطنية ويلوم الاغنياء

في هذا وامثاله يجب ان تبحث جرائدنا لا في الوطنية السياسية فانها كلمة مزعومة وعبارة غير مفهومة واما الوطنية الحقيقية وبالتالي الوطنية المدنية فانما هي كل القوة وبها يتم كل النفع وهذه مدارس افيروف في بلاده وثغرنا ومدارس سواه في كل بلاد تشهد بعظم الفائدة التي تأتي من الشعوب والافراد. بل نحن ما لنا ولبعض الافراد الذين ينفعون قومهم نفع الحكومات

ولننظر الى بلادنا نفسها وما يفعله فيها الاجانب لفقرائهم فان كل فئة اجنبية في هذا القطر لها جمعية خيرية عظيمة ومدارس واسعة وملاجيء غنية مع ان فقراءهم يعدون عداً ولا يبلغون كلهم عدد فقراء حارة من حاراتنا واما نحن الذين نبلغ في الاسكندرية وحدها نحو المئتي الف نفس وطني فليس عندنا ملجأ واحد الا ان تكون تكيـة الاوقاف التي في المكس والله اعلم كم تحوي وما هي فضلاً عن انها من مال الاوقاف وليس ليد خصوصية فيها يد بل نحن لو حسبنا مبرات الوطنيين كلهم في هذا الثغر وحده لما بلغت كلها عشر مبرات اقل فئات الاجانب عدداً وليس بعد هذا من دلالة على تقصيرنا وضعف الوطنية الحقيقية عندنا ولله في خلقه شؤون

انتقاء النساء

لما كان الزواج ضرورياً لانتظام الهيئة الاجتماعية فقد صار انتقاء النساء من اهم المواضيع التي يجب البحث فيها والتوسع بها لكي يكون الخطيب على بصيرة ومعرفة تامة من حياته مع خطيبته وهو اهم دور يشغله في الدنيا

ثم لما كان الزواج من طبائع الانسان الغريزية وبه يتم الاجتماع البشري فقد سن الله لنا قانون الزواج وقيدنا به لكي يميزنا عن الرتبة الحيوانية وذلك ضروري لجنسنا لان المرأة في زمن الولادة تحتاج الى المساعد القوي الذي يؤدي جميع لوازمها اذ انها تلازم الفراش مدة واذا كان هذا المساعد مطلقاً غير مقيد بقانون شرعي او ادبي مثلاً لا يبذل جهده في اعانتها كما ينبغي

وعدا ذلك فان الزوجة هي التي تحسن اخلاق زوجها وتحضه على فعل الخير وتجبره على تأدية الواجبات نحو وطنه وتعزيه على مصابه وتصبره عند الملمات فينغرس حبها في قلبه وكم انشأ حب المرأة من شاعر وصير من بطل

واذا كان الرجل لا يعرف له وريثاً مثلاً يرثه لا يتعب نفسه ولا يهتم بجمع الاموال ومعلوم ان جمع الاموال والاحتياج اليها هما الفاعلان في تقدم الصنائع والفنون ومهما جمع الانسان من الاموال لا يكل عن الوسائط المسببة لزيادتها لانه لا يفتكر الا في الاسباب التي ترفع درجة وريثه وتنفعه عند الكبر وهي العلم والمال فاننا نرى المتقدمين في السن لا مقدرة لهم على الشغل وفي هذا الوقت لا يكون لهم مساعد غير اولادهم فلذا تقدم الجنس البشري تقدماً عظيماً وهذه هي الاسباب التي قيدت الرجل بالمرأة

ثم انه لما كان الحب اعظم رباط يربط الزوج بالزوجة وبدونه لا يحصل اتفاق قط كان هو الاساس المتين لانتظام الهيئة الاجتماعية فانه يملأ صاحبه لطافة ويبعده عن كل رذيلة وينشطه على ارتكاب الاخطار ولو ساقته الى الموت وعلى هذا لزم لكل واحد ان ينظر لما يسبب حبه ويجذب قلبه نحو خطيبته لكي يعيش سعيـداً ولاختلاف الاذواق اختلفت المطالب وتنوعت الاسباب وهذه المطالب تنحصر في المال والجمال والكمال

اما طلاب المال فيحكمون لانفسهم بالفوز والنجاح عندما يتزوجون ابنة احد الاغنياء ولو جمعت سوء الخلق وقباحة المنظر فلا يسجل اسم مولودة من سلالة غنية بدفتر المواليد حتى يرمقها الكل ويزدحم الناس على ابوابها

واذا قلت لاحدهم لماذا لا ترغب الزواج الا بابنـة احد الاغنياء دون سواها أمن المعقل ان توقع نفسك تحت ذل امرأتك لاجابك قائلاً ان